

التكافل الاجتماعي في ضوء القرآن والسنة

تأليف الدكتور/

خالد بن عبد الله بن مسلم القرشي

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

مكة المكرمة

من ١٣٥٩ إلى ١٤٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد :

فإن الله عز وجل ما خلق الخليقة وأسكنها هذه الأرض إلا ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ومع أنه سبحانه فطرهم على الحنيفية ، إلا أنه لم يكلمهم إلى فطرهم الكامنة في نفوسهم ، بل أرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، قال الله تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ . فبعث الله الرسل عليهم الصلاة والسلام لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإلى فعل الخيرات وإتباع الحق ، ومجانبة الحرام والظلم بكل صوره وأشكاله ، وإلى نشر السلام والمحبة والوئام بين الناس ، والأخذ بالعدل والإنصاف ، وأشار إلى هذه المعاني رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بقوله : (إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى..... المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره بحسب إمريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : ماله ودمه وعرضه....إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .. التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا ،

التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ألا لا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً .. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث^١ .

ولا شك في أن من أعلى القيم الأخلاقية ، البر بين الناس ، بر المسلم بأخيه المسلم واحترامه له ومودته ، وعطفه ورحمته به ، والمسارة إلى نجده ، ومساعدته عند الحاجة والفاقة والوقوف معه ومشاركته في أفراحه وأحزانه ، والترفع عن ظلمه وخذلاته وإهانتة والوقية به.

من أجل ذلك أحببت المساهمة في الكتابة عن موضوع «التكافل الاجتماعي في ضوء القرآن والسنة» وجعلته في مقدمة وستة مباحث وخاتمة ، فما كان صواباً فمن الله وحده فأشكره وأحمده على التوفيق والسداد ، وما كان خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفر الله الواحد الأحد وأتوب إليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

تأليف الدكتور/

خالد بن عبد الله بن مسلم القرشي

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

مكة المكرمة

المبحث الأول : مفهوم التكافل في اللغة والاصطلاح

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مفهوم التكافل في اللغة :

وردت مادة (كفل) في مفردات القرآن الكريم بمعنى : الكفالة التي تعني الضمان ، تقول : تكفلت بكذا ، وكفلته فلاناً ، وقرئ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾^١ أي : كفّلها الله تعالى وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ جَعَلْنَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾^٢

والكفل والكفيل : الحظ الذي فيه الكفاية ، كأنه تكفل بأمره نحو قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾^٣ أي اجعلني كفلاً لها.

والكفل : الكفيل قال تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفِيلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾^٤ أي كفلين من نعمته في الدنيا والآخرة ، وهما المرغوب إلى الله تعالى فيهما ، بقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾^٥

والكفل : الضعف ، قال تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كَفِيلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ ، وقيل هو

النصيب

وذو الكفل اسم نبي من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وهو من الكفالة والكفيل : الضامن ، والكافل : الذي يكفل إنساناً أي يعوله قال تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾

١- سورة آل عمران آية (٣٧)

٢- سورة النحل آية (٩١)

٣- سورة ص آية (٢٣)

٤- سورة الحديد آية (٢٨)

٥- سورة البقرة آية (٢٠١) وانظر مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ، دار القلم -

دمشق - الطبعة الثالثة ، ص ٧١٧

المطلب الثاني : مفهوم التكافل في الاصطلاح

هو التعاون بين أفراد المجتمع المسلم ، بحيث لا تطفئ مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة ، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته وللجماعة هيئتها وسيطرتها ، فيعيش الأفراد متكاتفين في كفالة الجماعة ، كما تكون الجماعة متلاقية في مصالح الآحاد ، ودفع الضرر عنهم .

وفهم من هذه المعاني للتكافل ، أن المجتمع الإسلامي يقوم على أساس أن أفراد وحدة تتضامن في مواجهة الحياة ، وتتعاون في حمل أعبائها ويساند بعضهم بعضاً ، أمام الأزمات والخطوب والكوارث .

فإن مبدأ الأخوة الذي تقوم على أساس العلاقة بين أفراد المجتمع ، يعني أن يصبحوا كياناً واحداً ، يخطو في الحياة خطوات متعاونة ، تحمي الأفراد من الضياع والهوان والفاقة .

فالأسرة ترتبط بالمودة الواصلة ، والمجتمع يتعاون فيما بينه على الخير والأخذ بيد الضعيف ، وتنمية المستغلات المملوكة لآحاد أو الجماعة على أكمل وجه ، والأمة يتضافر آحادها على الخير فيما بينها ، وعلى التعاون فيما ينفعها والإنسانية كلها تتعاون على رفعها - القوي ينصر الضعيف ، والعالم يعلم الجاهل ، والغني يسد حاجة الفقير - ولقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم ، بأن الناس أمة واحدة ، وأن اختلاف الألوان والأجناس واللغات ، لا يقتضي التفاوت في معنى الإنسانية وحقوقها بل الجميع سواء ، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^١

وقد يظن البعض أن التكافل هو مجرد المساعدات المالية التي تعطى للمحتاجين والواقع أن مفهوم التكافل أوسع من ذلك بكثير ، إذ يتعدى المساعدات

المالية المحدودة ، إلى نوع من الترابط العضوي الذي يجعل المجتمع كالجسد الواحد ، الذي يحمل بين جنباته روحاً واحدة ، متحدة الأحاسيس والمشاعر ، كما وصف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر) ^١

١- رواه البخاري حديث رقم (٦٠١١) ومسلم حديث رقم (٢٥٨٦)

المبحث الثاني : أسس التكافل الاجتماعي

ونخرج من هذا المفهوم للتكافل ، بأن التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية يقوم على أساس عظيمين هما :

الأساس الأول : أن المجتمع البشري كله في الأصل وحدة متكافئة متعارفة ، قال الله تعالى : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^١ وقال سبحانه : «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»^٢ وقال ﷺ : (أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه ديناً ، أو يطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجته ، أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً)^٣

الأساس الثاني : أن المجتمع الإنساني - الذي دعا الإسلام إلى تكوينه وإقامته - مجتمع متكامل متعاون ، وهو يتألف من طائفة المؤمنين بأسس الإسلام العقائدية ، ومبادئه التشريعية ، والقابليين لنظامها ، والمذعنين لحكمها الموالين للدولة القائمة على أساسها ومن طائفة غير المسلمين الذين انخرطوا في النسيج الاجتماعي للأمة الإسلامية ، وعاشوا تحت ظلالها ، فهؤلاء تراعى ذممهم وتسان محارمهم ، وتحفظ حقوقهم ما داموا مسالمين لأهل الإسلام ، مقرين بنظامه محترمين لأحكامه وشرائعه.

١- سورة الحجرات آية (١٣)

٢- سورة الأنبياء آية (٩٢)

٣- رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٤٥٣) ، عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم (١٧٦)

فقد وردت آيات قرآنية ، قرنت الإيمان بالله تعالى و برعاية المحتاجين وسد عوزهم كما قرنت الكفر بالله تعالى والتكذيب بالدين ، بإهمالهم ، واللامبالاة بحالهم ، منها قول الله تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^١ وقال سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^٢ وقال عز من قائل : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^٣

وقال سبحانه عن المجرمين : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلُومِينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ﴾^٤ وقال سبحانه : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَخْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾^٥

وامتدح ﷺ ، الأشعريين^٦ لتضامنهم وتكافل بعضهم بعضاً ، فقد ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو ، وفنى زادهم ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم)^٧

١- سورة الإنسان آية (٨ - ٩ - ١٠)

٢- سورة المعارج آية (٢٤ - ٢٥)

٣- سورة الإسراء آية (٢٦ - ٢٧)

٤- سورة المدثر آية (٤٢ - ٤٣ - ٤٤)

٥- سورة الماعون آية (١ - ٢ - ٣)

٦- الأشعريون : قبيلة من العرب ، ينسب إليهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

٧- رواه البخاري حديث رقم (٢٤٨٦) وسلم حديث رقم (٢٥٠٠)

وفي الحديث الصحيح (من كان عنده طعام اثنين ، فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة ، فليذهب بخامس أو سادس) ^١

وقد حدث في عهد رسول الله ﷺ ، أن كان أبو عبيدة عامر بن الجراح يجاهد مع ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ ففنى زادهم فأمرهم أن يجمعوا أزوادهم في مزودين ، وجعل يقوتهم إياها على السواء ^٢

ولما كان عام المجاعة في عهد عمر رضي الله عنه ، أرسل إلى ولاة الأمصار ليمدوه بالطعام والأموال ، فأرسل له كل وال ما استطاع إرساله ، وكان يوزع الطعام على الناس بالسواء ، ومما أثر عنه في تلك المحنة قوله : لو امتدت المجاعة لوزعت كل جائع على بيت من بيوت المسلمين ، فإن الناس لا يهلكون على أنصاف بطونهم ، ولكن الله كشف المحنة ، وعاد الرخاء بعد ذلك إلى البلاد ^٣

وبهذه الطريقة ، ترى أن الإسلام يمنح الحرية الفردية ، في أجمل صورها والمساواة الإنسانية ، في أدق معانيها ، ولكنه لا يتركها فوضى ، فللمجتمع حسابه وللإنسانية اعتبارها وللأهداف العليا للدين قيمتها ، لذلك يقرر مبدأ التبعة الفردية في مقابل الحرية الفردية ويقرر - إلى جانبها - التبعة الجماعية التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليها.

١- رواد البخاري حديث رقم (٥٣٩٢)

٢- انظر المحلى لابن حزم (٦ / ١٥٨)

٣- انظر كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٢٣٧.

المبحث الثالث: العلاقة بين التكافل المعنوي والمادي .

إن الإسلام يهتم بتثبيت دعائم التكافل المعنوي في المجتمع ، لأنه الأساس الأول الذي يقوم عليه التكافل المادي ويدوم ، وذلك بجعل أفراد مجتمعه جسماً واحداً ، يشعرون بشعور واحد ، ويقفون في الحياة موقفاً واحداً قال الله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^١ فهم شركاء في تبعة الحياة ، لا يتفوقعون ، ولا ينزلون ، ولا يتخلى بعضهم عن بعض ويقومون بواجبهم تجاه بعض ، وقال عز وجل : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾^٢ وقال سبحانه ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^٣

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)^٤ قال ابن أبي جمرة : الذي يظهر أن التراحم و التوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى ، لكن بينها فرق لطيف ، فأما التراحم ، فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر ، وأما التودد ، فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي ، وأما التعاطف ، فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً ، كما يعطف الثوب عليه ليقويه ، وقوله : (تداعى) أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في الألم^٥. وقال صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)

١- سورة التوبة آية (٧١)

٢- سورة الإسراء آية (٢٦)

٣- سورة النساء آية (٣٦)

٤- سبق تخريجه ص (٤)

٥- فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٣٩)

١ وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه) ٢ . « قال الجيلاني : يكف عليه ضيعته أي يمنع ضياعه وهلاكه فيجمع عليه معيشته ، ويضمها إليه ، ويحوطه من ورائه ويذب عنه ويوفر عليه مصالحه » ٣ . وقال صلى الله عليه وسلم : (أيما أهل عرصة ٤ أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله) ٥ وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع على جنبه) ٦

وهو تصوير معبر عن الحقيقة ، فإن متانة الرابطة بين المسلمين ، تجعل أيديهم متعاونة ، ووجوههم متقابلة ، لا يرضى أحدهم أخيه ، ولا تفر عينه بما يؤذيه بل لا يرضى إلا بما يرضيه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (المسلم أخو المسلم ، لا يخذله نولا يكذبه ، ولا يظلمه ، وإن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه) ٧

وذلك هو مغزى تشبيه العلاقة بين المسلمين بعلاقة أعضاء الجسد بعضها ببعض في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاونهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ٨ .

١- رواه البخاري حديث رقم (٢٠٢٦) ومسلم حديث رقم (٢٥٨٥)

٢- رواه أبو داود والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة ، وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني حديث رقم (٩٦٢)

٣- فضل الصمد في توضيح الأدب المفرد (١ / ٣٣٤)

٤- عرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

٥- رواد الحاكم

٦- رواه مسلم

٧- رواد الترمذي (٦ / ٥٦٣) جامع الأصول

٨- سبق تخريجه ص (٤)

وهذا غاية ما تصبوا إليه المجتمعات الإسلامية في أمر التكافل ، أن يتحد الإحساس ويتضامن ، وأن تتوافق المشاعر وتتساند ، وأن يسعى الجميع إلى غاية واحدة ، هي تحقيق السعادة والأمن للمجتمع كله ، ولا يكون ذلك إلا بالتكافل .

وهي غاية تحققها العقيدة الإسلامية ، وتثبت دعائمها بلا إكراه ولا كبت ، فهي لا تشتري بثمن ، ولا تفتعل بمظهر ، ولكن العقيدة الصحيحة تتشبه في سر وطواعية وتنميها فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه قوم عراة مجتابي النمار^١ أو العباءة متقلدي السيوف ، عامتهم بل كلهم من مضر ، فتمعر^٢ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رأى بهم من الفاقة ن فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً ، فأذن وأقام ، فصلى ثم خطب ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

والآية الأخرى التي في آخر الحشر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع ثمره ، حتى قال : ولو بشق تمره ، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل عجزت ، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل ، كأنه مذهبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)^٣

١- النمار : جمع نمرة وهي كساء من صوف مخطط ومعنى مجتابيها : أي لابسها قد خرقوها في رؤسهم

٢- تمعر أي تغير ، انظر في ذلك رياض الصالحين ، بتحقيق الألباني ص ٥٧

٣- رواه مسلم حديث رقم (١٠١٧)

فبالتكافل المعنوي يصبح كل فرد معبراً عن أخيه ، فتقوى الرابطة بين الجماعة حتى تصبح متماثلة من كل جانب ، متشابهة من كل اتجاه ، تتعاون على سواء في حمل المسؤولية وتنهض بأعباء الحياة ، ويؤكد ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم)^١ وذلك يصدر عن العقيدة الصحيحة ويقوم على أساسها .

ولهذا نرى تحذير الإسلام لأبنائه من التفكك والتناحر ، وحملته الشديدة على التنازع والشقاق ، حفاظاً على تضامن الجماعة ، وسعياً إلى وحدتها ، قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^٢ فيكشف بذلك عن سر قوة الجماعة ، وأنه في طاعتهم لله ورسوله ثم في التضامن والاتحاد على ذلك والتحذير من التصدع والانحيار الذي يولده الصراع والاختلاف ، وحب الذات و اللامبالاة بالغير ، وإتباع الهوى والشهوات .

ومن هنا ، فقد رغبت في الاتحاد وحثنا عليه من أول الطريق ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾^٣ فالإسلام يهدف إلى ربط القلوب بالعقيدة الصحيحة ، والتأزر على البر والتقوى في سبيل المصلحة العامة والتكاتف لبلوغ الأهداف ، والوصول على الغاية . والله سبحانه وتعالى يمنن على الأمة أن جمع قلوبهم وربط بينهم برباطه الوثيق ، فصنع منهم أمة قوية ، بعد أن كانوا أوزاعاً متفرقين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

١- رواد النسائي وأحمد في مسنده (١ / ١١٩) ، وقد صحح إسناده أحمد شاكر : حديث رقم (٩٥٩) وانظر فتح الباري (٤ / ٨٥) ومجمع الزوائد (٦ / ٢٩٢) .

٢- سورة الأنفال آية (٤٦)

٣- سورة الأنبياء آية (٩٢)

إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^١

وهذه هي ثمرة الإيمان الصادق ، قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^٢

فالتكافل المادي يقوم على دعائم التكافل المعنوي ، وغاية ما يقال عن التكافل المادي أنه فريضة لها أبعادها القريبة والبعيدة ، وحدودها التي تحيط بالمجتمع من أطرافه ، لا تترك منه جانباً يفترسه الشقاء ، أو يضيع فيه الفرد ولا يأسى عليه أحد ، أو يعيش غريباً في مجتمعه ، فالدولة الإسلامية ملزمة برعاية أحوال الفقراء والمعدمين والمرضى وذوي الحاجات فيها ، عن طريق كفالة المجتمع هؤلاء معيشة كريمة تليق بكرامة الإنسان . والإسلام يشيد بكل ما يفيد الجماعة ، من عمل دنيوي أو ديني أو سياسي أو اقتصادي زراعي أو تجاري ، علمي أو أدبي ، ويعتبره من البر الذي يحبه الله تعالى لعباده ويدعوهم إلى التعاون عليه والتواصي به ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^٣ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس)^٤

فالتعاون بين أفراد المجتمع هو التكافل والتضامن في تحقيق السعادة والأمن للناس بتحقيق البر الذي يركز على المعاملة الحسنة ، والعشرة الطيبة ، والأخلاق الفاضلة ، والبعد عن أعمال الشقاوة والطغيان ، والقيام بشؤون المحرومين والمحتاجين ، وإيتائهم حقوقهم التي شرعها الله لهم ، والتي تقوم على مبدأ الأخوة في الله ، كما بين الله تعالى في كتابه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا

١- سورة آل عمران آية (١٠٢ - ١٠٣)

٢- سورة الأنفال آية (٦٣)

٣- سورة المائدة آية (٢)

٤- سبق تخريجه ص (٧)

بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^١ ، فقيام الإخاء بين أفراد المجتمع ، يوجب التكافل في كل ما يحتاجونه في حياتهم الدنيا من تكافل وتضامن بينهم في المشاعر والأحاسيس ، وفي المطالب والحاجيات ، وفي المنازل و الكرامات ، لأن الناس يحتاج بعضهم إلى بعض في شتى شؤون الحياة ، وهم في مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة ، لا تبرز في تمامها واكتمالها ، إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعاده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)^٢ ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أصابعه تأكيداً لمعنى : (يشد بعضه بعضاً) .

وفي هذا « تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته ، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه ، فإن البناء لا يتم ، ولا تحصل فائدته إلا بان يكون بعضه يمسك بعضاً ويقويه ، وإن لم يكن ذلك ، انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه ، وكذلك المؤمن لا يستقل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاوضته فإن لك يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه وعن مقاومة مضارة ، فحينئذ لا يتم له نظام دنياه ولا دينه ، ويلحق بالهالكين^٣

وذلك لأن أقوام لهم ركن ، وضعيفهم مستند لذلك الركن القوي ، فإذا والاه قوي بما بباطنه ... وأنه لما صعب على كل واحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه ، إلا بمعاونة عدة رجال له ... فلقمة طعام ، لو عندنا تعب تحصيلها من زرع وطحن وخبز وصناع آلاتها ، لصعب حصره فلذلك قيل : إن الإنسان مدني بالطبع ، ولا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيثه ، بل يفتقر بعضهم لبعض في مصالح الدارين .^٤ فالله سبحانه وتعالى قد سخر الناس بعضهم لبعض ، في كل وضع وفي كل ظرف فواجب العالم أن يعين الناس بعلمه ، فيعلمهم ما يقيمون به دينهم والغنى

١- سورة الحجرات آية (١٠)

٢- سبق تخريجه ص (٧)

٣- رياض الصالحين للنووي ، تعليق وترقيم الشيخ الألباني ، هامش رقم (١) ص ٧

٤- انظر فيض القدير للمناوي (٦ / ٢٥٢)

يعينهم بماله فيسد حاجة المحتاجين ، والشجاع يعينهم بشجاعته ، فيدافع عنهم العوادي ، وهكذا ينبغي أن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة ، كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهو يد على من سواهم) ^١ فقصدهم واحد ، ومطلبهم واحد ، وهو قيام المصالح الدينية والدنيوية ، التي لا يتم أمر دينهم إلا بها فكل فرد منهم يسعى في تحقيق ذلك بحسب ما يناسبهم ويناسب الوقت والحال ، فالحق يسعى لتحقيق مصالح دينهم ودنياهم متساعدين متساندين يرون غاية واحدة ، فيؤدي هذا التكافل الاجتماعي بينهم دوره ، ويحقق غايته ، وهو أكبر ضامن لتطور الحضارة الإنسانية نحو الأكمل والأفضل والأسعد.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان له فضل زاد ، فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان له فضل ظهر - أي دابة - فليعد به على من لا يظهر له إلى أن عدد أصنافاً من المال ما عدد ، حتى رأينا - والمتكلم هنا هو أبو سعيد الخدري - أنه لا حق لأحد منا في فضل) ^٢

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال : وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر) ^٣ وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (اللهم إني أخرج ^٤ حق الضعيفين اليتيم والمرأة) ^٥ وعن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه

١- سبق تخريجه ص (٩)

٢- رواد مسلم حديث رقم (١٧٢٨)

٣- سبق تخريجه ص (٧)

٤- أخرج : ألحق الحرج ، وهو الإثم بمن ضيع حقهما ، واحذر من ذلك تحذيراً بالغاً ، وازجر عنه زجراً أكيداً ، انظر رياض الصالحين ص (٨١) ، دار الفتح للإعلام العربي للطباعة والنشر.

٥- رواه أحمد (٢ / ٤٣٩) وابن ماجه (٣٦٧٨) من حديث أبي هريرة ، وقال النووي حديث حسن

ورواه النسائي بإسناد جيد ، انظر رياض الصالحين ص ٢٧٠

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم)^١

وهذه الأدلة تعبر عن متانة الرابطة بين المسلمين ، التي تجعل أيديهم متعاونة ، وذلك هو مغزى تشبيه العلاقة بين المسلمين بعلاقة أعضاء الجسد بعضها ببعض.

وهكذا يفرض الإسلام التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله ، تمشياً مع نظريته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة ، وفي تناسق الحياة وتكاملها ، فيدع للفرد حريته الكاملة ، في الحدود التي لا تؤذيه ، ولا تأخذ على الجماعة الطريق ، ويجعل للجماعة حقوقها ، ويكفلها من التبعات ، لسداد هذه الحقوق ، لتسير الحياة في طريقها السوي القويم ، وتصل إلى أهدافها العليا التي يخدمها الفرد ، وتخدمها الجماعة على حد سواء.

١- رواد البخاري حديث رقم (٢٨٩٦) مرسلأ ووصله الإسماعلي ، ونحود عن أبي الدرداء عند أبي داود في سننه حديث رقم (٢٥٩٤).

المبحث الرابع : وسائل تحقيق التكافل الاجتماعي

لقد سلك الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع عدة وسائل من

أهمها ما يلي :

أولاً : تحقيق المحبة الإيمانية بين أفراد المجتمع :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)^١ وبهذا ينتفي الصراع ويختفي التظالم ، وهي غاية صعبة ، ولذلك ربطها الإسلام بالإيمان حتى يضمن لها التحقق ، ويحيطها بالعقيدة الصحيحة .

ونرى في مواقف القرآن الكريم من الأثرة ، خطّة يستل بها الأنانية ، ويرتفع فيها بالإيثار إلى درجة السمو ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ۝٢﴾

فإن هذه الصورة المشرقة ، مثل أعلى يرتقي بالإيثار ، ويبغض الأنانية ويربط أفراد بالحب ، ويحارب الشح والغل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوان)^٢ ، وبذلك استطاع المسلمون أن يعيشوا في عافية وطمأنينة ، لأن الروابط الاجتماعية القوية جعلت أفراد المجتمع يخففون أعباء الحياة بعضهم عن بعض ، ويتعاونون في المواجهة الصعاب والعقبات والأزمات .

١- رواه البخاري حديث رقم (١٣) ومسلم حديث رقم (٤٥)

٢- سورة الحشر آية (٩ - ١٠)

٣- رواه البخاري حديث رقم (٦٠٦٤)

ثانياً : تقوية علاقة الجوار بين أفراد المجتمع :

يعني الإسلام بعلاقة الجوار ، ويضفي عليها أهمية كبيرة ، لأنها علاقة منبئة في أنحاء المجتمع ، والاهتمام بها يؤدي إلى ربط المجتمع ببعضه ببعض ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾^١

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^٢ ويقول عليه الصلاة والسلام (والله لا يؤمن - ثلاثاً - قالوا : من يا رسول الله؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه)^٣ ومفاد ذلك أن الإسلام يحرص على متانة علاقة الجوار ويرى فيها وسيلة فعالة في تحقيق التضامن والتكافل بين المتجاورين ، وتحويل هذه العلاقة إلى حقوق وواجبات ، يدل على خطة الإسلام العملية في جعل التكافل النفسي واقعاً عملياً يسعد المجتمع ، ويزيد طمأنينته وأمنه واستقراره.

ثالثاً : غرس خلق التراحم بين أفراد الأسرة والمجتمع :

وذلك عن طريق الأمر بصلة الرحم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾^٤ وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾^٥ وقال

١- سورة النساء آية (٣٦)

٢- رواه البخاري حديث رقم (٦٠١٤) ومسلم حديث رقم (٢٦٢٤)

٣- رواه البخاري حديث رقم (٦٠١٦) من حديث شريح.

٤- سورة الأنفال آية (٧٥)

٥- سورة محمد آية (٢٢ - ٢٣)

صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالكافي ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها) ^١

وعن طريق إفشاء السلام ، فمن حق المسلم على أخيه المسلم ، إذا مر عليه أو زاره أن يلق عليه السلام وأن يرد عليه الآخر ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا خِيتِمُ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ ^٢ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) ^٣ وقال صلى الله عليه وسلم : (إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام) ^٤

وعم طريق طلاقة الوجه والتبسم ، فتبسم المسلم في وجه أخيه المسلم صدقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تبسمك في وجه أخيك صدقة) ^٥ وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق) ^٦

وغيرها من أخلاق الإسلام التي شرعها الله تعالى ورسوله بين المسلمين من رد السلام ، وعيادة المريض ، وإتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس وإغاثة الملهوف ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حق المسلم على المسلم خمس . رد السلام ، وعيادة المريض ، وإتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، وإبرار القسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام) ^٧

١- رواد البخاري حديث رقم (٥٩٩١)

٢- سورة النساء آية (٨٦)

٣- رواد مسلم حديث رقم (٥٤)

٤- رواد أبو داود في سننه ، حديث رقم (٥١٩٧) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (٤٣٢٨)

٥- رواد الترمذي حديث رقم (٢٠٢٢) وقال حسن غريب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٩٨٠)

٦- رواد مسلم حديث رقم (٢٦٢٦)

٧- رواد البخاري حديث رقم (١٢٣٩) ومسلم حديث رقم (٢٠٦٦)

وقال عليه الصلاة والسلام : (عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكوا العاني)^١ وقال عليه الصلاة والسلام : (على كل مسلم صدقة ، قال أفرأيت إن لم يجد قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قال أفرأيت إن لم يستطع أن يفعل قال : يعين ذا الحاجة الملهوف)^٢

وروى الإمام أحمد رحمه الله ، قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه حينما كاتب صاحبه على ثلاثمائة نخلة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يعينوه ، فقال لأصحابه : أعينوا أخاكم ، قال سلمان : فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر ، والرجل بعشر - يعني الرجل بقدر ما عنده - حتى اجتمعت له ثلاثمائة ودية ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فققر لها فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي - ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها ، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده)^٤

فتحقيق هذه القيم وتطبيقها في المجتمع هو لذي ينشيء التراحم والتعاطف بين الأفراد والجماعات ، ويقوي آصرة الأخوة والمحبة والتآلف والتعاون فيما بينهم .
عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)^٥

١- العاني : الأسير

٢- رواد البخاري حديث رقم (٥٦٤٩)

٣- رواد البخاري حديث رقم (١٤٤٥) وكسلم حديث (١٠٠٨)

٤- رواد أحمد في مسنده حديث رقم (٤٤٢٥)

٥- رواد البخاري حديث رقم (٢٤٤٢) ومسلم حديث رقم (٢٥٨٠)

وعن أبي نهريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) ^١

فهذه المعاني والأخلاقيات هي التي تحقق التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع وتقويه.

المبحث الخامس : طريقة الإسلام في تنظيم التكافل الاجتماعي

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عن طريق التنظيم التشريعي الذي أوجبه الله تعالى .

لم يهمل الإسلام ، ولم يغفل عن وضع حل لمشكلة الفقر والتفاوت الاجتماعي بين أفراد المجتمع ، بل تكفل بوضع حل لاتباعه ، عن طريق تنظيم تشريعي ملزم يقوم على أساس العدل والتكافل معاً ، وذلك من خلال أمرين عظيمين هما :

الأم الأول : التكافل في نطاق الأسرة والقربة :

فأوجب الإسلام على القادر أن يكفل العاجز من أصوله أو فروعه ، حتى يستغني بكسبه ، ويواجه الحياة بجهد وكدحه ، فالرجل يضرب في الأرض ، ويرعى زوجته وأولاده ويكدح في رحابها من أجل كفايتهم وسعادتهم .

وعلى سنة الإسلام في ربطه بين الدنيا والآخرة ، وإعلانه جوائز الثواب التي تنالها أفعال العباد عند الله ، فإنه يربط بين النفقة على الأهل وبين الصدقة ، ليرينا أنها نوع من التكافل الاجتماعي الذي يقوم على أساس القربة ، وتؤكد روابطها ، وهذا كفيل أن يهون على كل عائل مشاق الكدح ، ويضئ له ظلمات الدأب والكفاح ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقة ، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك ، خيرها الذي أنفقته على أهلك) ^١ وليس هذا تهويناً للصدقة ، أو غصت من أجر الإحسان ، ولكنه ترتيب لأنواع التكافل الاجتماعي ، يضع في القمة ما يبذله الإنسان لأهله ، لأن كفاية الإنسان لأهله وتحمله الأعباء يعد خطوة في بناء مجتمع سعيد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير الصدقة عن ظهر غني ، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) ^٢ والحق أن نكول الرجل عن الإنفاق على أهله ، وتخليه عن رعايتهم ، داء

١- رواد مسلم حديث رقم (٨٨٥)

٢- رواد مسلم حديث رقم (١٠٣٤)

خبث يوهن قوى المجتمع ، ويبث فيه الشقاء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته) ^١ وقال عليه الصلاة والسلام : (إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة ، وهو يحتسبها كانت له صدقة) ^٢

وقال صلى الله عليه وسلم : (حتى اللقمة تجعلها في امرأتك صدقة) ^٣ ولهذا يرى الإسلام أن سعي الإنسان ليقوت نفسه وليكفل أسرته ، نوع من الجهاد في سبيل الله ، كما ورد ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لذا فقد امتازت الأسرة الإسلامية بتكافلها الرائع من جهة رعاية الآباء للأبناء ، لا طمعاً في نفع ، ولا انتظاراً للجزاء ، ولكن قياماً بواجب الإسلام وتحقيقاً لما فرضه الله عليهم في هذا السبيل ، واتساقاً مع الفطرة الإنسانية التي هي حقيقة الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ^٤ فهل هذا يقارن بما يحدث في مجتمعات الغرب ؟

ومن جانب آخر ، فإن الإسلام يفرض على الفروع الإنفاق على الأصول ، وذلك في حالة العجز وعدم القدرة ، فكان المسألة - حينئذ - وفاءً وأداءً للدين الذي استودعه الآباء من فضل وإحسان ، ولما قدموه من بذل وتضحية ، قال الله تعالى : ﴿ وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ ^٥

١- رواد مسلم حديث رقم (٩٩٦)

٢- رواد البخاري في الفتح حديث رقم (٤٠٠٦) ومسلم حديث رقم (١٠٠٢) واللفظ له.

٣- جزء من حديث طويل رواد البخاري حديث رقم (١٢٩٥) ومسلم حديث رقم (١٦٢٨) واللفظ له.

٤- سورة الروم آية (٣٠)

٥- سورة الإسراء آية (٢٣ - ٢٤)

وهذا التكافل في نطاق الأسرة والقرابة ، يخفف عبئاً كبيراً على الدولة والمجتمع لأنه يستند إلى روابط فطرية ، ودوافع إيمانية ، وهذا النوع من التكافل ، إن تقاعس عنه المرء ، فإن للدولة الحق أن تجبره على الإتفاق ، وأن تقطع من ماله ما يكفي حاجة من يعولهم.

ويبقى بعد الآباء والأبناء ومن في حكمهم (الأقربون) ، وأولئك يشملهم أمر التضامن ويحيطهم أفق التكافل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^١

الأم الثاني : التكافل في نطاق المجتمع والدولة :

وذلك من خلال فريضة الزكاة التي أوجبها الله تعالى ، وجعلها أحد أركان الإسلام الخمسة ، وجعل الدوافع في إخراجها دافعان :

الدافع الأول : قوة الإيمان والوازع الديني في إخراجها طواعية ، المبني على الاعتقاد بأن مصدر هذا التشريع هو الله الخالق سبحانه ، والإيمان بالمسئولية المباشرة أمامه سبحانه والمحاسبة على كل تقصير أو إخلال بأحكام هذه الشعيرة الإلهية في يوم لا بد من مجيئه ، وهو يوم الحساب والجزاء قال الله تعالى : ﴿ ... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾^١

الدافع الثاني : سلطة الحكم في الإسلام ، التي تتولى جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها وفق ما أمر به ربنا سبحانه وتعالى بقوله ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^٢

وفي هذه الآية دلالة على أن الدولة هي التي تقوم بجمع فريضة الزكاة من المكلفين بها وتوزيعها على مستحقيها ، فكلمة (العاملين عليها) هم - باتفاق العلماء والمفسرين - المكلفون بجمع الزكاة وتوزيعها على المستحقين الذين تضمنتهم الآية .

وأما السنة ، فإن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عماله ، ممن كان يوليهم ويرسلهم إلى المناطق ، كانت تتضمن إيصاءهم بجمع الزكاة من أغنيائهم وردها على فقرائهم ، وكذا الخلفاء الراشدين من بعده .

١- سورة التوبة آية (٣٤ - ٣٥)

٢- سورة التوبة آية (٦٠)

قال الله تعالى : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^١ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أرسل معاذاً إلى اليمن : (إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه ، عبادة الله عز وجل ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها ، فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم)^٢. فالزكاة من معجزات هذا الدين ، ومن الدلائل على أنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده وأن رسالته هي الرسالة الخاتمة ، في أنه سبق الزمن ، وتخطى القرون ، فعني بعلاج مشكلة الفقر ورعاية الفقراء ، دون طلب منهم ، ولا مطالبة من فرد أو من جماعة بحقوقهم ولم تكن عنايته هذه ، عناية سطحية ، أو عارضة ، أو ثانوية في تعاليمه وأحكامه ، بل كانت من خاصة أسسه ، وصلب أصوله ، فلا عجب أن كانت الزكاة - التي ضمن الله بها حقوق الفقراء والمساكين في أموال الأمة ، وفي عنق الدولة المسلمة - ثالثة دعائم الإسلام وأحد أركانه العظام ، وشعائره الكبرى ، وعباداته الأربع ، كما في حديث ابن عمر المشهور المتفق عليه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً)^٣.

فالزكاة فريضة شرعية على أصحاب الغنى واليسار من المسلمين ، ولأهميتها ، فإنه ما من آية قرآنية يجيء فيها ذكر الصلاة إلا قرنت بها الزكاة ، قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾^٤ وقال سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

١- سورة التوبة آية (١٠٣)

٢- رواد البخاري في كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ، حديث رقم (٤٣٤١)

٣- رواد البخاري حديث رقم (٨) ومسلم حديث رقم (١٦)

٤- سورة المؤمنون آية (١ - ٤)

الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون»^١ وقال الله تعالى : «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا»^٢

وأما المال الذي تجب فيه الزكاة :

فقد اتفق الفقهاء على أن المال الذي تجب فيه الزكاة ، هو المال النامي بالفعل كالحيوانات التي تنمو وتدر ، وتلد ، والأرض التي تزرع ويحصد زرعها والشجر الذي يثمر ويجنى ثمره ، والعروض التي يتجر فيها ، وتنمو بالاتجار أو المال النامي بالقوة ، واعتبرت النقود مالا نامياً بالقوة ، ولأنه يجب على مالكها أن لا يتركها في الخزائن ولا يعمل فيها ، وفرض الزكاة في النقود ، تحريضاً على الإنتاج بها في الصناعة والزراعة وغيرها من وسائل الإنتاج المباحة^٣.

وما الزكاة إلا مظهراً لما تفيض به قلوب المؤمنين ، من إحساس بالمسئولية الاجتماعية ، وشعور بالتضامن والارتباط ، فهي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم)^٤

ولا تتحقق أهداف الزكاة إلا بتوزيعها في مصارفها المحددة شرعاً، لكي لا تنحرف عن غايتها الأولى ، من تحقيق التكافل ، وسد ثغرات الفاقة والهوان ، قال الله تعالى : «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^٥

فالإسلام يرى في الزكاة فريضة للتكافل الاجتماعي ، وحلاً ناجحاً كريماً لمشكلة الفقر والحاجة ، فهي فريضة مادية ، ولكن الإسلام يربطها بأصل الإيمان

١- سورة النور آية (٥٦)

٢- سورة مريم آية (٥٤ ٥٥)

٣- انظر الموسوعة الفقهية (٢٣ / ٢٤١)

٤- سبق تخريجه ص (١٩)

٥- سورة التوبة آية (٦٠)

ويقرر لها روح العبادة وجلال الشعيرة ، ويجعلها انعكاساً لما يملأ القلب من اعتقاد و يقين ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^١

وقد جاء التحذير من إهمالها ، كما في قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾^٢ وقال سبحانه : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمِسْكِينِ﴾^٣ وقال عز وجل : ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^٤

والزكاة مورد متجدد ، يشمل كل مصادر الكسب والعمل ، ويتجه إلى مصب واحد الفقر والعوز والحاجة ، فلا يزال ذلك يعمل عمله ، ويمسح الآلام ويقرب الفوارق ، ولا يفسح المجال لتراكم الثروات ، أو الاستعلاء على البائسين ، والازدراء بحق الضعاف والمساكين ، فقد كان المجتمع المسلم الذي يؤدي أفرادُه الزكاة ، بمنجى من البؤس والضعف وكانت الحياة كريمة على كل فرد ، لا يحفل بما يحفل به المجتمع الحديث من صور الشقاء والفقر ، التي تهوى بالإنسان إلى الحضيض ، وتلبسه ثوب الذلة والهوان ..

والزكاة حلاً طبيعياً ميسوراً ، يحقق التكافل ، ويخفف من الأحقاد ، ويحقق التآزر بين القادرين والعاجزين ، بروح ملؤها الحب والرحمة والوفاء .

ولذلك أقام الإسلام العلاقات الاقتصادية والمالية في تشريعه ، على أساس العدل فأعطى كل إنسان حقه ، بحسب ما يبذل من جهد في مجال العمل الصناعي أو الزراعي أو التجاري أو الإداري أو غير ذلك من أنواع النشاط ، فإذا عجز فريق من الناس عن حصول عيش الكفاية على الأقل ، بسبب العجز كلياً أو جزئياً ، أو بسبب

١- سورة البينة آية (٥)

٢- سورة الماعون آية (١ - ٣)

٣- سورة المدثر آية (٤٢ - ٤٤)

٤- سورة فصلت آية (٦ - ٧)

حلول مصائب وكوارث طارئة . فإن شريعة الإسلام تلزم بقية المجتمع بالتكافل لمن وقعت عليه المصيبة أو الكارثة أو حل به العجز عن إدراك ما يسد حاجته .

فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ، فقسمتها على فقراء المهاجرين » .^١

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقرائهم - أي ما يحتاج إليه الفقراء - ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنيائهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً)^٢ .

من هذا كله يتبين لنا ، أنه إذا لم تكف الزكاة ، لسد حاجات التكافل الاجتماعي ، ولم يكن في بيت المال ما يقوم بتلك الحاجات ، فقد انتقل واجب القيام بها إلى أموال الناس بحيث يؤخذ منها ، ما يسد تلك الحاجة^٣ .

قال ابن حزم : « وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكتفون من المطر والصيف والشمس وعيون المارة »^٤ .

١- رواه ابن حزم وقال : هذا إسناد في غاية الصحة والجلالة.

٢- رواه الطبراني ورواه ابن حزم موقوفاً على علي رضي الله عنه

٣- انظر ابن عابدين (٢ / ٥٧) والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٢٣٠

٤- المحلي (٦ / ١٥٦) بتصرف

المطلب الثاني : عن طريق فتح باب التطوع والاحتساب .

يضاف إلى ما تقدم من التشريع التنظيمي الذي أوجبه الله تعالى ، طريقاً آخر ، يستمد قوته من وازع الضمير الديني ، ودافع التقوى والتقرب إلى الله تعالى ، والرغبة في مرضاته وثوابه ، والخشية من غضبه وعقابه ، هذا الطريق الذي يحقق أيضاً جانباً من التعاون والتكافل الاجتماعي وإن كان تطوعاً اختيارياً ظاهراً ، إلا أنه يتصف بالإلزام الداخلي النفسي بالنسبة للمؤمنين ، وكلما كانت العقيدة قوية في المجتمع ، وحرارة الإيمان متقدة كان هذا الطريق التطوعي منتجاً لنتائجه ، وذلك عن طريق ترغيب الإسلام الشديد على الصدقة وأعمال البر ، وحثه على فعلها ، والثناء على فاعليها ، بما يستثير في المجتمع أقصى طاقات البذل ، ويصل إلى مكامن النفوس ، فيدفع الأفراد وأرباب الأموال والمؤسسات والهيئات إلى المشاركة الدائمة في تخفيف الآلام ، وتقديم العون والمساعدة إلى مستحقيه ، بوازع الإيمان والتقوى في طلب الأجر والثواب من الله تعالى ، والسعي في إرضائه سبحانه وتعالى .

إن دعوة الإسلام ملحة ، لتفيض كل يد قادرة بالإحسان ، وليعلم كل فرد أن واجبه لا ينتهي عند كفاية حاجته هو ، بل لابد أن يساهم في كفاية حاجات الآخرين ويفتح عينيه على آلامهم ، بل إن الإسلام جعل بذل الأموال من الجهاد في سبيل الله قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^١

وقد حث الإسلام إلى تقديم العون ، والجود بالمال لسد حاجات المحتاجين في كل وقت ، وخاصة إذا دعت مصلحة المجتمع على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾^٢ فجعل الله سبحانه وتعالى ، جزائه للمنفقين أعظم مما أنفقوا أضعافاً كثيرة في الدنيا والآخرة .

١- سورة التوبة آية (١١١)

٢- سورة التوبة آية (١١١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما نقصت صدقة من مال) ' وقال عليه الصلاة والسلام : (قال الله تعالى : أنفق يا ابن آدم ، ينفق الله عليك) ^٢

وحذر من البخل والاستجابة لداعي الشح ، فإن ذلك بخل على النفس بحظها الوافر من الخير وسعادتها في المستقبل ، قال الله تعالى : : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْئِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخْشَىٰ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ ^٣

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ^٤

واعتبر الإسلام قبض اليد عن البذل في سبيل الله تعالى ، والضن بالمال عن المحتاجين من أفراد المجتمع ، هلاك للفرد ، يذله عن مراتب الشرف ، ويؤخره عن المسابقة في الخيرات ، ويرده أسيراً لنوازع هابطة تحاصره بمشاعر دنيئة تؤدي به إلى البوار والخسار ، كما جاء التعبير عن هذا في القرآن في قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^٥

وإن مما يثير الإعجاب في أمر الإحسان والخير والمعروف في الإسلام أنه لم يعف منه أحداً في المجتمع ، بل طلب من كل مكلف أن يبذل جهده وما في وسعه في حدود طاقته ومقدرته ، وأمره أن لا يحقر من المعروف شيئاً ، فالمجتمع في حاجة إلى كل جهد ، وإلى كل خير ، مهما قل ، ويستفيد من كل طاقة مهما كانت ، وهذا ما بينته آيات القرآن في أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ... يقول الله تعالى : ﴿ لَا

١- رواه مسلم حديث رقم (٢٥٨٨)

٢- رواه البخاري حديث رقم (٥٣٥٢) ورواه مسلم حديث رقم (٩٩٣)

٣- سورة محمد آية (٣٨)

٤- سورة النساء آية (٣٧)

٥- سورة البقرة آية (١٩٥)

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا^١ ويقول عز وجل : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»^٢ ويقول سبحانه : «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»^٣

والقليل من العمل والجهد يصير كثيراً إذا ضم إليه غيره ، فليس المهم أن يوجد الإنسان بالكثير ، ولكن المهم أن يشعر المسلم بحق المجتمع ، وأن يقدم ما يستطيعه من عمل وجهد .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سبق درهم مائة ألف درهم ، فقال رجل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها ، ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما وتصدق به)^٤ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (على كل مسلم صدقة ، قالوا ، فإن لم يجد يا رسول الله ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يستطع يا رسول الله ؟ قال : يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، فإنها له صدقة)^٥ .

وروى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان عنده طعام اثنين ، فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة ، فليذهب بخامس أو سادس)^٦ .

١- سورة الطلاق آية (٧)

٢- سورة الأعراف آية (٤٢)

٣- سورة البقرة جزء من آية (٢٨٦)

٤- رواد النسائي حديث رقم (٢٥٢٧) والحاكم في المستدرک (١/ ٤١٦) ، وحسنه الشيخ الألباني

رحمه الله في صحيح الجامع حديث رقم (٣٦٠٦)

٥- رواد البخاري حديث رقم (١٤٤٥) ومسلم حديث رقم (١٠٠٨)

٦- سبق تخريجه ص ٤

وهذا يقتضي وجوب إطعام الفقير على من كان يستطيع إطعامه ، ولا يجوز تركه عرضة للجوع.

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (من كان معه فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له) قال أبو سعيد : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل ^١.

ويرتفع الإسلام بشأن الإحسان إلى ذروته ، حين لا يحقر المسلم من المعروف شيئاً وبهذا لا يقيس الإحسان بكمه ، بل يرضى عنه بكيفه ، وبقدره ونيته وغايته ، وفي هذا خير للفرد والمجتمع معاً... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) ^٢ وقال صلى الله عليه وسلم : (فاتقوا النار ولو بشق تمرّة ، فإن لم تجدوا ، فكنمة طيبة) ^٣ وقال عليه الصلاة والسلام : (لا تحقر جارة لجارتها ، ولو فرسن شاه) ^٤ وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ ﴾ ^٥

١- سبق تخريجه ص (٩)

٢- سبق تخريجه ص (١٣)

٣- رواه البخاري حديث رقم (١٤١٣) ومسلم حديث رقم (١٠١٦)

٤- رواه البخاري حديث رقم (٢٥٦٦) ومسلم حديث رقم (١٠٣٠)

٥- سورة الروم آية (٣٩)

المبحث السادس : الموارد المالية التي تحقق التكافل الاجتماعي

هناك عدة موارد تحقق التكافل الاجتماعي من أهمها :

- (١) الزكاة^١ : وهي ركن من أركان الإسلام ، وفريضة دينية ، وقد سبق الكلام عنها في المبحث الخامس .
- (٢) الخراج : وهو أجرة الأراضي التي تعتبر ملكيتها للمسلمين عامة يدفعها المستثمر المنتفع بها ، كالأراضي التي فتحت أثناء الفتوحات الإسلامية وأرض الموات أو الأراضي التي لا مالك لها ، كالغابات وغير ذلك من الأموال العامة^٢
- (٣) الجزية : وهو المال الذي يؤخذ من أهل الكتاب في مقابل تمتعهم بالأمن بمعناه الواسع وأن الحكمة من مشروعيتها أخذها ن هي معونة للمسلمين ورزق حلال ساقه الله إليهم^٣ وهذه الضريبة تسقط عنهم في الحوال التالية^٤ :
 - في حالة العجز عن الأداء ، لمرض أو كبر أو عجز عن العمل .
 - في حالة مشاركتهم في الدفاع عن المسلمين .
 - في حالة عجز المسلمين عن حمايتهم .
 - وتسقط عن الأطفال والنساء والعجزة^٥ .
 - وتسقط عن دخل منهم في الإسلام^٦ .
- (٤) مال من لا وارث له : فإنه يدخل إلى بيت مال المسلمين^٧ .

١- انظر الموسوعة الفقهية (٨ / ٢٤٥)

٢- انظر الموسوعة الفقهية (١٩ / ٥١)

٣- انظر أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ٩٢٥)

٤- انظر الموسوعة الفقهية (١٥ / ١٩٩)

٥- انظر الموسوعة الفقهية (١٥ / ١٧٦ - ١٧٨)

٦- انظر الموسوعة الفقهية (١٥ / ١٩٩)

٧- انظر الموسوعة الفقهية (٨ / ٢٤٨)

(٥) العشور : وهي ما يؤخذ على التجارة الواردة من دولة إلى أخرى ، وهي غير جائزة في شريعة الإسلام ، غير انه يجوز التعامل بها في حالة المعاملة بالمثل^١ .

(٦) الوقف : لقد سار المجتمع المسلم في ميدان التكافل ، شوطاً بعيداً ، وسبق إلى مبادئ تبلغ مداها في تحقيق التراحم والتعاطف والتكاتف ، فكان مما شرعه الإسلام نظام الوقف وفيه يتنازل المالك عن ملكيته ليعين من الأعيان لتصير في خدمة المجتمع^٢ .

والذي يراجع تاريخ (الأوقاف الإسلامية) يرى فيها صورة مضيئة تعكس إيمان المجتمع المسلم بمبدأ التكافل ، وحرصه على تحقيقه بين أفرادها ، وقد ورد في ذلك بعض الآثار منها : لما أصاب عمر رضي الله عنه ، أرضاً بخبير ، استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في شأنها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن شئت حبست أصلها وتصدق بها) فتصدق بها عمر : أنه لا يباع أصلها ، ولا يوهب ولا يورث ، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها المعروف ، أو يطعم غير متمول ، قال ابن سيرين : غير متأثل أي : (جامع) مالا^٣ « واشترى عثمان رضي الله عنه ، بئر رومة بماله الخاص ، وجعلها في سبيل الله »^٤ « وحبس خالد رضي الله عنه ، أدركه وأعتاده في سبيل الله »^٥ وقد كان الوقف في التاريخ الإسلامي مؤسسة اجتماعية خيرية عظيمة النفع متعددة الأنواع ، فمنه ما كان وقفاً على التعلم والتعليم ، ومنه ما كان وقفاً على الجهاد والمجاهدين ، ومنه على

١- انظر الموسوعة الفقهية (٣٠ / ١٠٢)

٢- انظر الموسوعة الفقهية (٤٤ / ١٠٨)

٣- رواد البخاري حديث رقم (٢٧٣٧) ومسلم حديث رقم (١٦٣٢) : وانظر مشكاة المصابيح

للألباني (٢ / ٩٠٧) حديث رقم (٣٠٠٨)

٤- رواد النسائي والترمذي

٥- انظر : نيل الأوطار للشوكاني (٦ / ٢٧)

المرضى والمستشفيات والعجزة واليتامى واللقطاء ، وعلى تزويج الشبان ، وغير ذلك مما تفنن فيه المسلمون في سبيل الخير والمصلحة العامة .

(٧) الفياء والغنائم : وقد فرق العلماء بينهما بأن الفياء هو ما حصل عليه جيش المسلمين من أموال بغير قتال ، والغنيمة ما حاز عليه المسلمون بالقوة والقتال^١ ، قال الله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾^٢ وقال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾^٣ فالإسلام قد جعل من الغنائم الحربية التي يغنمها الجيش في معاركه مع الأعداء ، والفياء الذي يصل للمسلمين بدون قتال ، نصيباً معيناً للتكافل الاجتماعي ، وهذا مالا مثيل له عند الأمم الأخرى في القديم والحديث .

(٨) الركاز : وهو ما يوجد في بطن الأرض من معادن ونقود ، جعل الإسلام فيه نصيباً معيناً ، ينفق منه على التكافل الاجتماعي ، وللعلماء آراء واجتهادات حول التفريق بين الكنز والركاز ، وحكم ما يستخرج من باطن الأرض أو من أعماق البحار من معادن وغيرها ، تعرف من المراجع الفقهية^٤ .

(٩) النذور : قال الله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾^٥ فإذا نذر الإنسان نذراً أن يتبرع لله بمبلغ ، وجب عليه الوفاء بنذره ، وكان سبيله الفئات المحتاجة للتكافل الاجتماعي وأحكام النذور تعرف في كتب الفقه^٦ .

١- انظر الموسوعة الفقهية (٣٢ / ٢٢٧)

٢- سورة الحشر (٤)

٣- سورة الأنفال آية (٤١)

٤- انظر مثلاً: البدائع (٢ / ٦٥) ، والموسوعة الفقهية (٢٣ / ٩٨)

٥- سورة الحج آية (١٩)

٦- انظر الموسوعة الفقهية (٤٠ / ١٣٦)

(١٠) الكفارات : قال تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^١ وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾^٢ ويقول تعالى في الصيام : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾^٣ وقال تعالى في الإحرام والحج : ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَذْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾^٤

فجعل فدية الصيام بالنسبة لمن عجز عنه نهائياً ، إطعام مسكين عن كل يوم ، وفدية المضطر لحلق رأسه في أثناء إحرام الحج ، ذبح شاه للفقراء أو صدقة من طعام ، ومن الكفارات ، كفارة الظهر (أي من حلف ألا يمس امرأته وحرمها على نفسه ، فيجب عليه أن يكفر ، ثم يستمر في صلاته الزوجية) وكفارته عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامَ سِتِينَ مَسْكِينًا﴾^٥

ويلحظ أن الإسلام لم يجعل مكفرات الذنوب ، القيام بعبادات لا تكلف النفس عناء ولا جهداً ، ولكنه جعلها متضمنة لمعنيين : معنى نفسي : يشعر به المذنب بحرمانه من شيء من ماله ، وهو مفطور على حبه ، أو تكليفه عقوبة شخصية ، فيها حرمان وصبر كالصوم ومعنى اجتماعي : وهو بذل جزء من المال لنفع المجتمع ، بدافع الرغبة في تكفير الخطيئة ومحوها ، وهو نوع من الغرامة المالية يستفيد

١- سورة المائدة آية (٨٩)

٢- سورة المائدة آية (٩٥)

٣- سورة البقرة آية (١٨٤)

٤- سورة البقرة آية (١٩٦)

٥- سورة المجادلة آية (٤)

منها المحتاجون ويحرر بها الأرقاء فجعل الإسلام كفارة كثير من الذنوب ، إطعام الفقراء والمساكين أو كسوتهم ... وهذا مورد كبير لتمويل مشاريع التكافل الاجتماعي^١.

(١١) صدقة الفطر : في الحديث الصحيح « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين »^٢.

والجمهور على وجوبها على الرجل ، وكل من تلزمه نفقته من زوجة وولد وخادم ، ولا تجب إلا على من وجدها زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته ومن حكمتها الإحسان إلى الفقراء والمساكين ، وكفهم عن السؤال في أيام العيد وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة لأفراد المجتمع المحتاجين^٣.

(١٢) الوصية : وهي في حقيقتها هبة وصدقة ، ولكنها تنفذ بعد الوفاة ، فهي بالنسبة لصاحب المال الموصي ، من نوع الهبات التطوعية ، وأما بالنسبة للورثة ، فهي ملزمة لهم بعد وفاة الموصي^٤.

وفي القرآن حض على الوصية ، وقد حددها الحديث ، بحد أعلى هو الثلث فعن عامر بن سعد عن أبيه قال : عاذني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت ، فقلت : يا رسول الله ، بلغني ما ترى من الوجع وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة ، أفأتصدق بثلثي المال ؟ قال : لا قال : قلت أفأتصدق بشطره ؟ قال : (لا ، الثلث والثلث كثير)^٥ الحديث ، ومنع

١- انظر الموسوعة الفقهية (٣٥ / ٣٧)

٢- رواد البخاري حديث رقم (١٥٠٣) واللفظ له ، ومسلم حديث رقم (٩٨٤) .

٣- انظر الموسوعة الفقهية (٢٣ / ٣٣٥)

٤- انظر تنمة الروض النضير ، شرح مجموع الفقه الكبير (٥ / ١٥٨) ، الموسوعة الفقهية (٣ / ٤٣)

(٢٢١ /

٥- رواد البخاري حديث رقم (٢٧٤٢) ومسلم حديث رقم (١٦٢٨) واللفظ له .

الوصية للوارث ، لما في حديث أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع : (إن الله تبارك وتعالى ، قد أعطى كل ذي حقه ، فلا وصية لوارث)^١

(١٣) الخزينة العامة (بيت مال المسلمين) : لقد كانت واردات بيت المال في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاصرة على أموال الزكاة والعشور (زكاة الزروع) والغنائم ، وكانت تنفق كلها على المستحقين ، فلما اتسعت الدولة واتسع دخلها المالي في عهد عمر رضي الله عنه ، دون الدواوين ، فقيدت كل واردات الدولة ، كما سجل كل ذوي الأعمال وأصحاب الأعطيات والمستحقين ،^٢ وقال عمر قولته المشهورة : « ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال »^٣

ثم نظم الديوان بعد ذلك تنظيماً أدق ، ورتبت أبواب ميزانية الدولة بحسب وارداتها وقسم بيت المال إلى أقسام ، لكل نوع من الواردات ، بيت مال خاص به ينفق منه على فئات معينة .

وقد ذكر هذه الأقسام العلامة الكاساني ، من علماء القرن السادس الهجري فقال: «ما يوضع في بيت المال من الأموال أربعة أنواع» :

الأول : الزكاة بمختلف أنواعها ، وتصرف في الوجوه التي تنص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ
الثاني : خمس الغنائم والمعادن والركاز ، ويصرف إلى الفقراء والمساكين واليتامى ومن كان في معانهم.

الثالث : خراج الأراضي وجزية الرؤوس ومن كان بمعناها ، وهذه تصرف إلى عمارة الدين والمصالح العامة ، ومنها رواتب الولاة والقضاة وأهل الفتوى من

١- رواد الترمذي حديث رقم (٢٢١٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، حديث رقم (١٧٢١)

٢- انظر الموسوعة الفقهية (٨ / ٢٤٢ - ٢٤٣)

٣- انظر : البدائع (٢ / ٦٨)

العلماء والجيش وإصلاح الطرق ، وعمارة المساجد والرباطات - للجهاد - والقناطر والجسور ، وسد الثغور وإصلاح الأتهار العامة.

الرابع : ما أخذ من تركة الميت ، الذي مات ولم يترك وارثاً أصلاً ، أو ترك زوجاً أو زوجة فقط ، ويلحق به الضوائع التي لم يعرف أصحابها ، وتصرف هذه الأموال إلى دواء الفقراء المرضى وعلاجهم ، وأكفان الموتى الذين لا مال لهم ، وإلى اللقيط وعقل جانيته وإلى نفقة من هو عاجز عن الكسب وليس له من تجنب عليه نفقته ونحو ذلك^١

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين ..

وبعد أن انتهيت من مباحث موضوع التكافل الاجتماعي في ضوء القرآن والسنة ،
فإني أسجل أهم ما توصلت إليه من نتائج وهي :

١- إن انتلاف القلوب والمشاعر ، واتحاد الغايات والمناهج ، من أوضح تعاليم
الإسلام وألزم صفات المسلمين .

٢- إن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة ، هما الدعامة المتينة لبقاء الأمة ودوام
عزتها ، ونجاح رسالتها والضمان الأول للقاء الله بوجه مشرق ، ويد معطاءة
، وصفحة نقية .

٣- إن شريعة الإسلام تكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه ، وأن يستوحش
في تفكيره وإحساسه وأن ينأى عن مصلحة بقية إخوانه المسلمين وحياتهم .

٤- إن الناس إن لم يجمعهم الحق ، ويلم شعثهم التكافل ، شيعهم الباطل ،
ومزقهم الأثرة والأنانية .

٥- إن المسلمين إذا لم يستهويهم نعيم الآخرة وما أعدده الله تعالى لهم فيها ،
تخاصموا على متاع الدنيا وحرموا الفضل المترتب على التكافل والتضامن
فيما بينهم .

٦- إن الرحمة والمودة من سمات دين الإسلام ، تجعل المسلم يرق لآلام الخلق
ويسعى لإزالتها بتحقيق التكافل الاجتماعي .

٧- إن ما نراه في الأرض من توادد وتعاطف وبشاشة وبر ، إنما هو أثر من
رحمة الله تعالى ، التي أودع جزءاً منها في قلوب الخلق ، فأرق الناس
أفئدة ، وأوفرهم نصيباً من هذه الرحمة ، وأرهفهم إحساساً بحياة الضعفاء
والمعدين .

٨- إن من فضل الله تعالى على العباد أن بعث فيهم محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام ، فسكب في قلبه العلم والحلم ، وفي خلقه الإيناس والبر ، وفي طبعه السهولة والرفق ، وفي يده السخاوة والندى ما جعله أزكى الناس رحمة ورأفة ، وأوسعهم عاطفة وشفقة ، وأرحبهم صدرأ وعاطفة ، وأسأهم يداً وجوداً .

٩- لقد جاء الأمر في شريعة الإسلام بالتراحم العام بين الناس ، وجعله من دلائل صدق الإيمان ، فالمسلم يلقي الناس جميعاً وفي قلبه لهم عطف مذكور ، وبر مكنون ، فهو يوسع لهم ، ويخفف عنهم آلامهم جهد ما يستطيع عن طريق التكافل المعنوي والمادي .

١٠- إن شريعة الإسلام لا تجيز للمسلم أن يوصد قلبه وبَيْتَه دون أقاربه ، أو أن يقطع علاقته بهم فيعيش بعيداً عنهم ، لا يواسيهم في ألم ، ولا يسدي إليهم عوناً ومعروفاً ، إن هذه القطيعة تحرم الإنسان من بركة الله ورحمته ، وتعرضه لسخطه وعقوبته .

المصادر والمراجع :

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أحكام القرآن لابن العربي.
- ٣- الأحكام السلطانية لأبي يلعلى
- ٤- الأدب المفرد للبخاري ، تحقيق سمير الزهري ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- ٥- الموال لأبي عبيد ، المكتبة التجارية بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ .
- ٦- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٧- المحلي لابن حزم ، علي بن حزم ، الطبعة الثانية ، مطبعة الإيمان بمصر.
- ٨- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، بغداد ، تحقيق حمدي السلفي.
- ٩- الموسوعة الفقهية ، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - حاشية بن عابدين
- ١٠- بدائع الصنائع للكاساني ، شركة المطبوعات العلمية بالقاهرة ، ١٣٢٧هـ.
- ١١- تنمة الروض النضير ، شرح مجموع الفقه الكبير .
- ١٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، للإمام المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٣- رياض الصالحين للنووي ، دار الفتح للإعلام العربي للطباعة والنشر.
- ١٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي .
- ١٥- سنن ابن ماجة للحافظ محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ١٦- سنن أبي داود للحافظ أبو داود سليمان الأزدي ، راجعه/ عبد الحميد محمد محي الدين ، دار الباز للنشر والتوزيع.

- ١٧- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، المكتبة العلمية - بيروت - .
- ١٨- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- ١٩- صحيح الجامع الصغير وزياداته للشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي - دمشق - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ .
- ٢٠- صحيح سنن أبي داود للألباني محمد ناصر الدين ، الطبعة الأولى - بيروت - .
- ٢١- صحيح سنن الترمذي للألباني محمد ناصر الدين ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي - بيروت - .
- ٢٢- صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- ٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ، الطبعة السلفية بمصر .
- ٢٤- فضل الصمد في توضيح الأدب المفرد .
- ٢٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ، دار المعرفة - بيروت - .
- ٢٦- مجمع الزوائد للهيثمي ، مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ٢٧- مختار الصحاح للرازي محمد بن أبي بكر ، الطبعة الأولى - بيروت - .
- ٢٨- مستدرك الحاكم للنيسابوري الحافظ محمد بن عبدالله ، دار الباز للنشر والتوزيع .
- ٢٩- مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٣٦٨ هـ .
- ٣٠- مسند الإمام أحمد - الموسوعة الحديثية - مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - دمشق - .
- ٣١- مشكاة المصابيح للألباني ، المكتب الإسلامي .

٣٢- مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان ،
دار القلم - دمشق - الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣ هـ .

٣٣- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ،
الطبعة الثانية ، دار الفكر - بيروت - .

